على شفا شرفة

كوثر بصير

دار خولة(خطوة) للنشر و التوزيع و الترجمة
2020

يمنع نسخ ,إشتقاق أو إعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل, سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية دون إذن خطي من الكاتب .

عـــنوان الكتـــاب	**على شفا شرفة**
مؤلـــف الكتـــاب	**كوثر بصير**
تصميم الغلاف	**لمياء عـــــلان**
الإخراج الفني	**فطيمة. ن**
الطبـــعة الأولـى	**ماي 2021 م – 1442هـ**
الإشراف العام	**خولة بوقروة - سهيلة بوقرة**

ردمـــــك : 978- 9931- 860-05 -1

للتواصل و الاستفسار :

الإيمايلkoutwahedition@gmail.com

2021م -1442 ه

الجزائر - سكيكدة -

كل الحقوق محفوظة

مقدمة

ولان البدايات دائما مزيفة،ولأني لا أهوى المقدمات، سأخبركم بمقولة اخبرني بها أستاذ، بينما كان يشرح درسه، كنت اكتب خاطرة، فالكتابة اقرب شيء إلى قلبي، قال لي بابتسامة عريضة،أتعلمين ماذا يعني مجد الكتابة،أن تكتب شيئا، فيؤلفه شخص غريب في مدينة غريبة، أن يقراه ليلا، أن يحاكي سطر من تفاصيل حياته ذاك هو المجد....

إهداء

إلى كل علامات التعجب التي رسمت على وجهي جراء كل خيبة كنت أخطو نحوها

إلى كل تلك النقاط التي وضعت في طريقي لتنهي كل تلك القصص التي لم أخذها يوما على محمل الجد

إلى كل أولئك الذين سعوا إلى تحطيم أحلامنا الوردية

إلى الذين أهلكونا حتى كادوا يهلكونا

إلى كل الأصدقاء الذين أصابهم التعفن حاوية القمامة أحق بكم مني

إلى كل من استبدل حرف السين بالصاد واستبدل التنوين بالنون اللعنة عليكم

إلى نفسي التي آمنت بي أنت الأحق بهذا الإهداء.

على جدار مصحة عقلية كتب

***** كنا بخير لولا الآخرون *****

هكذا لطالما كنت شديدة الإيمان بأنه خلف كل خيبة سيأتي الفرج، كوحي من السماء، او كلمة كاتب في نهاية كل قصة حزينة.

خلف كل القصص التي يعيشها المرء خبايا ليست سوى توقعات لم نضعها بادئ الأمر في الحسبان كبديل لنهاية حكاية ما، تلك الحكايات التي عشناها بكل قلب طفولي نتفاجئ بانكسار تلك الأحلام التي بنياناها بعد كل نهاية.

ربما ليست نهاية فكل نهاية بداية لطالما *كتبتها بالبند العريض على جدار قلبي...*

المشهد الأول

دائما ما يظن المرء أن كل ما يشعر به داخل أعماقه لابد وان يكون أمرا صادقا ،لو لم يكن كذلك من أين له أن يشعر بكل تلك السعادة، تلك الراحة،والطمأنينة "

ككل تلك الأيام استيقظت "رهف" وهي مفعمة بكل ما جاء به التفاؤل من مفردات اتجهت نحو نافذة غرفتها التي كانت تطل على بيت عجوز من العصر الجميل تمتلك بيتا قديما يحاكي كل تفاصيل الحياة في كل أرجائه باقات من الزهور مختلفة الألوان، لطالما اعتادت "رهف" أن تجلس بمحاذاة تلك الشرفة تشرب كأسا من الشاي وتقرا كتابا، كل الكتب التي كانت مصفوفة على طاولة قديمة رثة، تخبئ في طياتها حكايات عن تجارب أشخاص كانوا قد عاشوها ،كالمعتاد أحضرت "رهف" كتابا وجلست تقرا في شرفة المنزل .

كل صفحة من كتاب تسافر بين طياتها إلى حياة كتابها تسال في قرارة نفسها "كيف لشخص بمنتهى العفوية والبساطة ان يعيش كل هذه القصص من ألام وأفراح تسال وتجيب نفسها .

لم تكن تهتم لشيء سوى كتبها التي كانت تقراها،وأزهار العجوز التي لطالما رسمت في نفسها لوحة تفاءل ،غير ذلك فهي لا تهتم بتاتا لا للصداقات الزائفة ،ولا كل تلك القصص التي

يسمونها قصص الحب ربما هي ليست موجودة أساسا لربما هي مجرد توافق أذواق أو تبادل اهتمام كيف لهذا المصطلح يحول شخصا واحدا باتصال واحد برسالة واحدة ... بكلمة واحدة... حياة شخص آخر من العدم إلى الوجود.. من التعب إلى العافية لابد انه ضرب من الوهم.

كانت تميل كل الميل لحب الأغاني ذوقها غير المستقر في اختيارها مثل مزاجها تماما أحيانا تستمع للاغاني القديمة فتجدها مملة وأحيانا أخرى تقدسها،

أحيانا تزعجها الأغاني الصاخبة وأحيانا هي من تقوم بإزعاجها من فرط الاستماع إليها، دائمة الالتزام بالصمت ، لا تفرض وجودها في التجمعات، لكن هدوؤها من يفرض وجوده ،لا تتأثر بالانتقادات ، مشكلتها أنها مدمنة تفاصيل فهي لا تنسى كلمة صغيرة في حديث طويل.

بينما كانت "رهف" تجلس في شرفتها غارقة في طيات الصفحات ،فإذا بالعجوز تخاطبها من بعيد هل بصيص أمل تطلبين... أم عن عزلتك تبحثين ... هل يسمع احد صوت قلبك الحزين...أم تائهة في وجوه العابرين ...يا زهرة الياسمين عما تبحثين؟؟.

كنت ابحث بين الوجوه لعلي أجد شبيها بين طيات الشوارع ، ربما داخل المقاهي العريقة يرتشف بعضا من القهوة ، صغير ربما يحب مجالسة كبار السن ، يحمل كتبا ويلتهمه في احد الأماكن ، هادئ، صامت فهما واجبان كالصلاة والصيام إنهما

الوحيدان المقدسان بالنسبة لي ،لابد وان يكون هناك احد صديق آو صديقة يدخل هذا الشخص إلى حياتي يربك تفاصيل يومي يغرس معالمه في دهاليز ذاكرتي

سكتت رهف هنيهة وراحت تفكر في خلجات نفسها تجري حوارا مع روح قلبها 'لابد أن يكون للمرء كتف يسند عليه رأسه ويختبئ من كل هذا السواد الموجود في العالم لابد له وان يحكي ما تشعر به نفسه وإلا لتحول إلى كتلة من الجليد بسبب الصقيع الموجود داخله'

العجوز:

أنت حقا يا ابنتي لا تدركين حجم الخيبات التي قد يتسبب لك فيها الغير أنت حقا لا تعلمين...ستكسرك اشد أشيائك حبا ستستيقظين ليلا لتفكري في الذنب الذي فعلته حتى تنالي كل هذا العناء ...هل فارقك الأمان ؟...هل أنت الوحيدة التي تشعرين بهذه الأشياء؟...

بعد ألاف الحكايات التي ستعيشينها بعد ملايين الخيبات التي ستتعثرين بها ستجدين نفسك تغاضيت عن الكثير فمكان الفواصل كان لابد من وضع النقط أو ربما الفواصل المنقوطة فهي تعني دائما التوقف للتفكير قبل وضع النقط.

ستجدين أن مشاعر انكسارك لا يمكن ان تحتويها مجرد حروف ستبحثين في آلاف الكتب عن بعض الاقتباسات التي قد تحول أحاسيسك إلى شيء ملموس قد تذهبين إلى أغانيك المفضلة لكن

دون جدوى ...فهذا الشعور لا يمكن أن يشبهه شيء في النهاية.

أهذا كله شتات كيف لإنسان أن يفعل بك كل هذا كيف تصبح نظرتك للأشياء بهذا البأس

كيف أصبحت الأمور بالنسبة لك بكل هاته العادية أنت التي ظننتك يوما آتيتي من كوكب آخر رموك هنا بمحض الخطأ...

وان البؤس يا ابنتي هو العودة من دروب الفقد كان يجب ان يكون لنا قلوبا اكبر تتسع لكل هاته الأحزان

وان العمر لمتاهة كبيرة وانه لمحطات جليلة فإما أن تتوقف لتلقى الأحبة وإما لتوديعهم هي لحظات حزن وفرح هناك من توقف في المنتصف وهناك من يكمل حتى النهاية هكذا العمر تحيى لتجد ما تريد فان وجدته ستغدو سعيدا وان لم تصادفه في طيات دروبك ستظل تبحث ولن تجده وفي الأخير ستبقى لك نفسك التي حطمتها من اجل الجميع .

لن يعود الأصدقاء ولا الأقارب والأحباء ليحملوا أحزانك الثقيلة بينما أنت التي تهبين مسرعة كاملة لا تتركين منك شيئا لأحد ...

أجهشت بالبكاء....

لكنك قوية ...

قيل لي يوما أني قوية ..لم أكن أعي معنى القوة ولكني على يقين

في انها تكمن في قلب مهما تهشم لا يزال قادرا على العطاء.

لكني لم اعد قادرة على العطاء وان القلوب لتشيب من الخذلان

لكن من أين لك كل هذا البرود، كيف استطعت التجاهل ....

أتدرين لقد استنزفت الأيام روحي كثيرا لقد فقدت نفسي بين زحامها أيامي التي طالما كنت أقول أنها لن تتبخر يوما لكن يوم تبخرت احترقت.

لقد علمني الألم أن لا اعتني بالأشخاص كثيرا فمن يريد البقاء بجانبك سيعتني بك أولا بعد..

لو حدثتك وبعد آلاف الكلمات التي سأقولها ساجد ان الكثير منها قد أهملته ما كان بجدر بي أن تحدث بتلك الطريقة البشعة فالمشاعر لا يمكن ان تحتويها مجرد كلمات فهذا الشعور مبهم إلى حد ان لا شيء يشبهه انه الشعور بالفراغ كأنك في غرفة مغلقة تعج بالسواد وضوء خفيف يطل من زاوية ما تنظرين إلى كل الاتجاهات إلى انعدام الأشخاص من حولك تفكرين في ألف طريقة للموت للهروب من أشباح العابرين ...

وان الإنسان يموت تدريجيا عند تحطم أحلامه ورحيل أحبائه حتى يأتي الموت ليجده جثة خاوية.

لكن أيتها الجدة ما سبب كل هذا الخراب الذي حل في نفسك ماذا فعل العابرون بك؟..

الحيـــاة مجموعـــة مـــن القصـــص،أحيانا ســـعيدة،وأحيانا تعيسـة،أحيانا تبـث فينـا شـعلة مـن الأمـل، وأحيانـا أخـرى تحطمنا...

الحياة روايات، وكل رواية تسرد لنا وقائع أشخاص،لا يهم إن كانت حقيقية أو خياليـة، خلقت من طيـات الوهم،كل مـا يهم هو المغزى من هذه القصص.

*****

" العابرون سريعا جميلون،لا يتركون ثقل ظل،ربما غبارا قليلا،سرعان ما يختفي "

وديع سعادة

صديقاتـــي

كنا مجموعة صديقات او بالأحرى أخوات جمعتنا الأحلام البريئة الروح الجميلة ..

كنا لي مصدر السعادة كن جل ما يشغل أوقاتي امضي معهن اغلب أوقاتي أثناء دوام مدرستي آو خارج الصف نشد الكف بالكف كن العصا التي اتكئ عليها وقت العثرات وبلسم جروحي في الآهات.

كم كانت خطواتنا جميلة كل تلك الطرق التي مشيناها معا حتى حجارتها باتت تحفظ أسماءنا كل تلك الأحلام التي رسمناها معا كل تلك الآلام التي عشناها معا تلك الأوجاع التي تقاسمناها لم تبقى منها سوى الذكريات القاتلة.

كنا قد قطعنا على أنفسنا كل تلك الوعود لنبقى معا حتى نهاية العمر ولكن افترقنا الوقت كان على عجل لم يترك لنا حتى فرصة لتوديع بعضنا..

كم كانت أيامنا جميلة معا كنا ننتظر بزوغ الشمس لنلتقي نظل لساعات رفقة أحلامنا كم كانت أمانينا رائعة.

قلوبهن البيضاء وجهوهن البريئة ضحكاتهن الجميلة لكن

لكل بداية نهاية وتلك هي سنة الحياة ..شاءت الأقدار أن نتفرق قبل أن نتشارك الأحلام كل واحدة منا كانت لها طموح .

"مايسة" طالما كانت مليئة بحس الفكاهة جميلة الروح رقيقة القلب لطالما اصمت على أن تكون مصممة أزياء شهيرة لا ادري أن حالفها الحظ بعد أم أنها أضاعت أحلامها في مفترق الطرق لا زلت أتذكر جيدا تصميمها على النجاح حبيبة قلبي لا تعرف معنى للفشل.

"مروى" طالما كانت تلك الصغيرة المدللة كانت أقربهن إلى قلبي الوحيدة التي لم اعرف يوما ما تخفيه بين خلجات نفسها.

"مريم" لم أرها منذ تلك اللحظة التي جاءت فيها إلى بيتنا كانت قد أخبرتني أنها حزنت كثيرا لمغادرتنا الحي حضنتني بشدة وقالت بصوت هادئ لن نفترق منذ تلك اللحظة لم نلتقي.

"لينة" حبيبتي الوحيدة التي رافقتني إلى الجامعة صحيح أننا لا نلتقي مطولا لكن رغم ذلك كنت ارتاح بشدة حين تكون برفقتي لم تكن تدرك أنها الناجية الوحيدة من ماضي كان يجمعنا سويا.

"أميرة" لعلها لم تكن صديقة الطفولة كالأخريات كانت

رفيقة الدرب أيام الاكمالية لم نفترق لكن روحها الطاهرة صعدت إلى السماء تاركة فراغا رهيبا في نفوسنا ...

كم تمنيت حينها أن يتوقف الناس عن الموت ان يتوقف الرفاق عن الرحيل .

لا شيء يعوض شلة الأصدقاء، لا العمل ولا المال ولا الحياة العائلية لاشيء يعوض تلك اللحظات التي يجتمعون فيها ويتبادلون الأفكار والأحلام ويأكلون سويا لاشيء.

كنت قد قرأت مقولة تقول:

" لا يموت المرء الذي بحوزته أصدقاء ، أصدقاء حقيقيون جدا للحد الذي حين يوشك على السقوط يرتطمون بالأرض قبله "

الصديق الحق يا عزيزتي هو الذي يرى الألم في عينيك بينما الناس حولك يرون ابتسامتك.

الصديق الحق هو الذي يظهر وقت ضعفك مرضك، احتياجك.

الصداقة الحقيقية ليس لها تاريخ انتهاء الصلاحية حتى لو رحلت الأرواح وغادرت ستبقى بين طيات الذكريات.

إن الأصدقاء دواء الروح وبلسم الجراح .

وكم افتقد تلك الزهرات لم أكن اعرف للحزن معنى برفقتهن لم يكن للوقت ساعات ولا دقائق لم يكن هناك الليل والنهار.

كم أنا وحيدة بدونهن كم اشتاق لأحاديثهن لضحكاتنا الصاخبة لاغاني طفولتنا ولكنها سنة الحياة فمنذ أن ولدنا على ظهر هذا الكون العجيب إلى وكانت لكل بداية نهاية...

كانت مرحلة الجامعة بالنسبة لي بمثابة الكابوس المخيف ...تغيرت نظرتي للحياة كليا لم أوفق بتاتا في ان أكون اجتماعية لطالما كنت منعزلة عن كل شيء كانت حقا أصعب مراحل حياتي..

قضيت ليالي وأنا اسمع الموسيقى الحزينة أنام في الكثير من الأيام قبل منتصف الليل ولا يهمني حتى أن آكل آو لم آكل كنت أتغذى على بصيص من الأمل ..

فقدت الشغف وذاك أسوا بكثير من الاكتئاب

أبي لم يكن يعلم شيئا عن فقدان الشغف فقط يقول "اجلسي معنا".

أما أمي تظن أن الم راسي من الجلوس وحيدة هي لم تعلم يوما عن صراخ الأرواح بداخلي وكمية الألم الذي يسكنني هي لا تعرف شيئا عن كمية التراكمات بداخلي ولا تعرف الاشيئ الذي ارتكز عليه حينما يشتد الألم .

طالما كانت تشمئز من جلوسي وحيدة تدعوني بغير الناضجة ولا تعلم بتاتا أني أحارب ضوضاء روحي لوحدي .

كنت اركض طويلا داخل عقلي ومع كل خطوة يسقط غضبي وقلقي لاقف في النهاية متجردة من كل شيء...

كل صباح استيقظ لا استطيع تحمل نفسي فيه اشعر بأنني كومة من الخراب رغم هدوئي اشعر بان أفكاري تثقب راسي .

لم يكن لي أصدقاء في الجامعة أبدا دائما ما كنت اجلس وحيدة .

كانت السنوات الأولى بداية العزلة فبعد أن فقدت صديقاتي كل منا مضت في حال طريقها وجدتني وحيدة تماما كنت اقضي النهار أحيانا ابكي وأخرى استمع إلى الموسيقى وأحيانا أخرى اغرق في صفحات كتبي كنت مهووسة جدا بالكتب والقراءة .

مضت سنتان ولا زلت غارقة في غياهب الوحدة مازلت أتجرع من كاس الفقد لم أكن لأتعرف على احد لم أكن لا أريد ذلك قبل أن ينتهي الموسم الدراسي كنت قد تعرفت على شلة من البنات كنت اقضي معهن معظم وقتي لم أتوقع يوما أن شبح التعلق سيعود يوما من ظلمات المقابر بعد أن دفنته ووعدت نفسي أن أبقى وحيدة ...البشر هم

من يسببون لنا الجنون كلما قل عدد الذين نعرفهم كلما كنا أحرارا البشر مجرد قيود مجرد خيبات كلما قل من نعرفهم كان نومنا أكثر هناءنا .

كان الجميع يظن إنني أعاني رهابا اجتماعيا لم يعلموا قط إني أعاني قرفا اجتماعيا...ابدوا لهم دائما هادئة وأنا التي احمل بداخلي أطنانا من الضجيج

رغم أنني كنت متشائمة حد السماء السابعة إلا أنني بعد أن تعرفت عليهن بدأت اقضي وقتا ممتعا ..بدأت أتعلق بهن أحببتهن لان الحياة نامت على روحي لسنين طويلة وعندما لاتقيتهن للوهلة الأولى أحببتهن لقد كن المنطقة الآمنة الوحيدة الملجأ الدائم ..قد انتشلنني من عبء الوحدة والعتمة إلى رحابة الحياة.

"هاجر" كانت زميلتي في الثانوية إلى إنني لم التقي بها حتى عامي الثاني في الجامعة كانت بمثابة الشبيه القادم من النور لينير عتمة قلبي كانت تشبهني حتى في أدق تفاصيلي غير أنها لم تكمل دراستها واختارت الحياة الزوجية قضينا حقا ايام جميلة معا تقاسمنا أحزاننا وأفرحنا بكينا معا ضحكنا معا والأخير افترقنا...

"نجوى" حبيبة قلبي رقيقة القلب جميلة الروح تقابل الجميع بوجه بشوش وتتعامل مع الجميع بلطف صادقة المشاعر طيبة النوايا لطالما اعتبرتها الأخت الحنون .

"أمال" كانت أمال شديدة الغموض كبركان راكد لا ندري متى ينفجر لكن شكلها دائما يوحي بالنضوج والحكمة.

"عبير"مفعمة بالايجابية تبث في النفس حب الحياة،وروح المغامرة.

"خديجة"قليلة الحضور لكن لا تغيب عن القلوب كثيرة الثرثرة،نقية القلب.

في آخر مرحلة لي في الجامعة وجدت نفسي غير قادرة تماما على مغادرة الجامعة وقد كنت العنها ألف مرة في عزلتي

كنت اجلس وحدي مطولا وأفكر كيف سأكمل المشوار بعد..ماذا تخبئ لي الحياة ما تخفيه لي الأقدار

أن الإنسان يخشى دائما مما لا يعرفه.

أن كل البدايات جميلة كأنها لقطة من فيلم سينمائي صنعت من القدر لنا فبعضها لقطات عابرة كشوائب أشخاص مروا وضروا وتركوا فينا ندوبا شوهت كل شيء جميل وبعضها راسخة كأشخاص كانوا للروحي بلسم جراح .

الكل سيبدو رائعا في البداية ثم ستتلاشى تلك الروعة ليصبحوا عاديين..ليصيحوا غرباء...

أما النهايات ...

فنهايـة سـعيدة لا نجـدها سـوى فـي الروايـات وان حـدثت حقيقــة فــان نســبة حــدوثها شــبيهة بالعــدم ولســنا مــن المحظوظين كفاية لتكون نهاية قصتنا سعيدة..

ونهايـة حزينـة قد تجعلنـا نندم ونبكـي ونهايـات كـان لنـا أيد بيضاء فيها مددناها لغيرنا حتى ظنوا أننا نشحت محبتهم

باختصار يا ابنتي أنا أناشدك بشدة لا تقتربـي من قلب احد أن لم تكوني صادقة القلب حافظة للعهد وفية.

ستعيشين لتري أشياء من صنع البشر تتخطـى قدرتك علـى الاستيعاب.

لا تقتربي كي لا تتوجعي

ولكـن أيتهـا الجـدة لا يـزال هنـاك أشـخاص جيـدون لـم نتعرف عليهم بعد ..ولحظات جميلة لم نعشـها...واكلات لـم نتذوقها

لا تزال في السماء زرقة لـم نتأملهـا كفايـة ...ولا يـزال فـي الحيـاة لحظـات بيضـاء لـم نعشـها ولا تـزال هنـاك كتـب لـم نقراها ولهفات لم نجربها وموسيقى لم نسمعها...

قد اشتعل الرأس شيبا يا ابنتـي وأمنيـاتي قد لبسـت أكفانهـا. واني حزينة جدا لأني توقفت عن فعل ما أحب وعن رؤيـة نفسـي كمـا كنـت أرانـي مـن قبـل أنـا حزينـة لان سـعادتي سبقتني أو ربما لم تعد ترافقني أنا حزينة لان الكثير منـي

قد سقط وعزمي لالتقاطه معدوم أنا حزينة لأني لم اعد مجددا.

لقد كبرت بما يكفي لأجرب أشياء جديدة...

و إن العمر لا يقاس بالأرقام بتاتا بل هي التجارب وحدها من تجعل الإنسان كبيرا.

ورب لكل وجع دواء، أما وجع بلا دواء فالمريض في جسده يشفى أما المريض في قلبه يشقى...

تالله إني لا أزال أتذكر كل هنيهة تألمت فيها روحي لا تفارقني البتة تلك الذكريات اللعينة يقال ان النسيان يأتي مع مرور الأيام ولكنني لم أنسى تعفنت الذكريات في راسي نمت واستيقظت ولا زال افعل حتى تجاوزتني المواقف والأيام...لا احد سعيد فقط من يضحكون يجيدون طي آلامهم بين سجن قلبهم ....نعم انه سجن فلا حد استطاع أن يخرج ظلماته انه ولد عاق ...

ذات يوم اخبرني احدهم ان كل منا يحترق في موضع ما كل منا ستحترق روحه حتى ينضج

وماذا حصل لنا بعد النضوج

لم يحصل شيئا غير الدمار الذي حل بنا حتى أصبحنا نخشى الاقتراب من أي كان حتى فقدنا الثقة بكل من حولنا.

لابد لنا ونحن نخوض صراع الحياة أن نترك متسعا لكل شيئا ..لا يجب أن نقترب فقط لأننا انبهرنا فربما حين تعمقنا وجدنا انه لم يفتنا شيء جميل

قبل خمسين سنة نعم لا أزال أتذكر ذلك اليوم التعيس أتذكر جيدا كيف تغيرت نظرتي لكل شيء.

*****

" بعد عام من العلاج،قال لي الطبيب النفسي: ربما الحياة ليست للجميع "

لاري براون

لحظة وداع

إنني متفائلة جدا اليوم هكذا قلت ذاك الصباح.

استيقظت ككل يوم باكرا قصد الذهاب إلى الجامعة فتحت خزانة ملابسي وكنت أضع في الرف الأعلى مجموعة من الكتب أول ما رفعت عينيا لفتت انتباهي رواية كان عنوانها"تعري الكلمات" لابد وان تكون صدفة جملة هكذا قلت لطالما أعجبتني كلمات تلك الرواية وما يشد الانتباه فيها حقا أنها تحكي تفاصيل حياة أشخاص لم يوقوا في تجاربهم أو بالأحرى إنهم خذلوا ارتديت ملابسي وخرجت لانتظر الحافلة أمسكت هاتفي لاتصل بصديقتي "ان الرقم الذي طلبتموه مغلق" هاتفها مغلق ووصلت الحافلة ركبت وجلست في المقعد الأخير وقلت في قرارة نفسي لا بأس لابد وإنها لم تستيقظ ماذا عسا هان يكون

" الغايب عذروا معوا"...

أنها المرة الأولى التي أحس فيها بطول الطريق ظللت انظر عبر النافذة لدقائق ولم نصل بعد عاودت الاتصال بصديقتي لكن لا يزال هاتفها مغلق وصلنا إلى الجامعة أخيرا لا ادري لم قلبي خفق بقوة لم اعتد أن أظل وحيدة لساعات لطالما كنا نأتي معا ونتشارك كتبنا وموسيقانا في الطرق كنا نصل في لمح البصر تعلو ضحكاتنا لتملا المكان...دخلت الكلية رغم الحشد الغفير من الناس إلا أن المكان موحش فالوقت بدون شخصك

المفضل باهت كانت عقارب الزمن توقفت كان الأرض أبت أن تدور.

دخلت الحصة انتهت الحصة الأولى لم تتصل هاتفها مغلق بحثت عنها في الكلية عسى ان تكون قد جاءت متأخرة أصبح الأمر يثير قلقي حقا ففي العادة أن لم تأت تتصل تخبرني وحين افترقنا أمس قالت لي أعدك بأننا لن نفترق ولن نتخلى عن بعضنا لا تتحدثي كالأفلام وكأننا سنسافر أنا هنا بالقرب منك هكذا أجبتها.

سأغرق في بحر الأفكار هذا لا بد وان اتصل بمنزلها هاه انه يرن .

الو السلام عليكم إني قلقة جدا فمنذ الصباح اتصل بهاتف صديقاتي إلا انه مغلق وآسفة على الإزعاج

وعليكم السلام بابنتي إن لكل شيء اجل ونهاية وأنا لله وإنا إليه راجعون "ادعيلها بالرحمة"

وان الكلمات لعجزت عن التعبير ...

أغلقت الهاتف ورحت ابحث عن مكان اجلس فيه لقد جئتك يا صديقتي شاكية منك إليك من ذا الذي يطفا نار قلبي قبل اليوم ككنت قد وعدتني لماذا أخلفتي وعدك ماذا عساني افعل حتى انتشل كل هذا الألم من روحي ليتني اتقي قلبي عسى أن تكف النار عن حرقي من ذا يثلج قلبي ...

إن أسوا ما يحصل للمرء هو مفارقة أحبائه أن طعم الفقدان سيئ ليتهم لا يرحلون وليت الآباء لا يشيبون ليتنا نبقا إلى الأبد معا أو نموت معا ...

أتذكر تلك اللحظات جيدا فقد تعرت الكلمات من المعاني حقا فالشعور بالألم لا يصفه شيء العديد من اللغات والحروف لكنها عجزت عن إعطاء مفهوم واحد للألم للاحتراق.

****

" لا احد يعلم ما أصابك،لا احد يعلم كيف هي معركتك الخاصة مع الحياة،ما لذي زعزع أمانك وقتل عفويتك،كم كافحت وكم خسرت،لا احد يعلم حقا من أنت "

البير كامو

مجرد فوضى

ما يحدث لي في هذه الأيام مجرد فوضى انا حقا متعبة من الطريق الطويل قد قطعت ألاف الأميال ولم أصل ،أنا على يقين تام بأنني حى لو وصلت الآن سأجلس فقط على الحافة لأنال قسطا من الراحة،متعبة من طيبتي الزائدة اتجاه الناس،متعبة من الوعود الكاذبة،من تكدس الأحلام، من التأني وطول البال،من أفكاري الحادة،من حساسيتي المفرطة.

مرهقة من أسئلة أمي ،من خوف أبي الدائم،من اتهامات أصدقائي لي بعديمة المبالاة.

أنا قد فقدت الرغبة في كل شيء،لم اعد اهتم ببرود قهوتي،لن أرد على الهاتف بعد الآن،سأضع كلتا يداي في جيبي،سأدع كل الفرص تفوتني،سأدع القلق يأخذ مني ما يأخذ،واقترب من كل ما أخشاه،سأرحب بحقيقة ان كل شيء لن يصبح بالضرورة على ما يرام،على أية حال لم يعد هناك شيء يهم.

****

" الشمس لا تشرق في اليوم مرتين،والحياة لا تعطي مرتين، فلتتشبث بقوة ببقايا حياتك لتنقذها "

انطون
تشيخوف

أحلام مجهضة

في كامل أناقته كان يبدوا هذا الصباح،يرتدي قميصا ابيض،وسروالا اسود،يحمل بيمينه باقة من الورود،وفي شماله حقيبة سفر،مليئة لألام الغربة،تكاد عيناه تدمعان،ربما هو الشعور بالأمان بعد غربة أليمة،رائحة تراب وطني جميلة،كأنها قطعة من الجنة،أول ما تطأ أقدامك فيها لأول وهلة ينتابك شعور غريب جميل،كأنه ميلاد جديد.

كان يجلس أمام النافذة يضع رأسه المثقل بالأفكار،ينظر من نافذة الحافلة،يتأمل السماء،يلوح للسحاب بدعواته،شخص مليء بالقصص،كل الأنظار متوجهة إليه،بفضول جميل سأله رجل مسن،أحب كثيرا أسئلة المسنين،وقراءتهم لتفاصيلك.

يا بني،أنى والله لأرى عينك تقر شوقا،واني أكاد اسمع نبضات قلبك المتسارعة،ترى ما كل هذا السرور...

أبتاه،واني أتوق لرؤية كل شبر في وطني،وأكثر ما اشتقت له وجه أمي الساطع أنا،ها قد حملت نفسي وجئت مسرعا بعد أن عرفت أنها طريحة الفراش،أنا سعيد حزين أتدري كيف يكون هذا الشعور كان تضغط على جمرة مشتعلة بكلتا يديك ولكنك تبتسم حتى لا تنحني أمام الحياة،لقد

فقدت الكثير،لأصل إلى ما أنا عليه،لا احد يصل دون عناء دون شقاء،في الوهلة الأولى التي ستراني فيها،سيعجبك مظهري تماما كهؤلاء الفضوليين، لكن النفوس أسرار،لكل منا جانب مظلم لا احد يراه،أنا رجل ناجح وشاب جميل،لكنني لم أكن أريد أن أصبح ما أنا عليه،لم يكن لي خيار لأعيش أحلامي،ففي بلدي الأحلام لا تطعمك خبزا هكذا رددوا على مسامعي،هكذا وبكل حماقة أجهضت ،أمالي وأحلامي،وسلمت زمام نفسي لهذا الواقع.

****

" كـل إنسـان ينـتقم لنفسـه مـن العالم،ولقـد كـان انتقامي يكمن في محـافظتي علـى ألامـي وهمـومي عميقة مطمورة،وان اسلي الآخرين بضحكي "

سورين كيركجارد

كبرياء

كنت دائما ما اجلس في رواق ضيق آم مكتبة الكلية،أحيانا أجول داخل صفحات كتبي وأحيانا أخرى انتظر قدوم صديقاتي،تلك اللحظات التي اختلي فيها بنفسي،أفكر فيها بأحلامي،أكثر ما يشغل بالي ما لذي تخبئه لي الأيام،بوركت الوحدة التي تجعلنا أكثر نضجا،كلما جلست هناك أبصر فتاة جميلة تجلس على مقربة مني،تنظر إلي باستمرار،ذات يوم وبدافع الفضول سألتها: أستسمحك عذرا عزيزتي أريد أن اعرف ما سبب نظراتك المليئة بالتساؤلات؟

أنا شديدة الإعجاب بصلابتك،أنت امرأة حادة لا يشبهها شيء، وأنت امرأة واحدة،كيف تجدين كل هذه القوة؟

نحن نساء يا حبيبتي نحن لا نبحث عن القوة،هي وحدها من تجدنا،لا قانون سوى القوة على هذه الأرض،المجد لمن قطع ذراعه قبل أن يلويها له احد،لكن لأخبرك بسر صغير،ستقتلنا هذه الصلابة يوما،أتعلمين لما لا نبوح بما تكتمه أرواحنا،لا نبوح لأنني نخشى أن يخدش شيء داخلنا،آو تدرين ما هو انه الكبرياء،الذي يحتم علينا لتظاهر بالثبات حتى في أوقات الوهن،الذي جبرنا على أن نكون جبالا شامخة،الذي يخبرنا أن الذبول مجرد خرافة،علينا أن نتحلى بالقوة،فالعالم لا يعترف بالضعفاء،على كل منا أن يصون كبريائه،لطالما كانت

مقولة"امشي على رجلك المكسورة،ولا تترك أثار يدك على كتف احد" شعارا لكبريائي،وحتى ولو لم أكن قوية سأتظاهر بذلك.

****

" أول مرة أرخيت يدي فيها،لم أتوقع أن يكون شعور الرضا بداخلي بهذا الحجم، قررت بعدها أن لا اشد قبضتي على شيء،فالأشياء المكتوبة لنا لن تذهب لغيرنا حتى لو أفلتناها "

التخلي أحيانا نجاة

قد كانت لنا جارة عجوز حادة الطباع ،كلما خرجت لمحت رفقتها كلبا،كانت تعيش معه،قد قال الجيران إنهما معا مدة تسع سنوات،ونظرا لكونهما يعيشان معا فإنهما اكتسبا نفس الطباع،تأخذه أينما سارت خطاها،تظل تضربه وتسبه كلما تعثرت خطواتها،ويقفان لتبادل نظرات مليئة بالضجر،وأحيانا أخرى بالخوف،انه مؤسف جدا،لا دري ما المؤسف أحال العجوز،أم ما يعانيه الكلب كل هذه السنوات،يتحمل الضرب فقط لأنه وفي،وليس بمقدوره التخلي،فنحن لا نستطيع التخلي بما الفته أرواحنا،نحن شديدو التمسك بما يؤلمنا،

في إحدى الأمسيات، كنت راجعة إلى منزلي كعادتي،وإذا بي أبصر العجوز تجلس أمام عتبة منزلها،متهيجة،قلقة،تجلس وحيدة دون كلبها،فنحن اعتدنا أن نراهما معا،كانت تنظر حولها وتتمعن كل الجهات،بعيناها الذابلتين،وتتمتم بين شفتيها، كلاما يصعب فهمه،يسألها الجيران مرارا وتكرا حول ما حل بها،يا لها من عجوز حادة، تأبى الرد على من أراد مد يد العون لها،تقدمت منها بعض الخطوات،وقلت لها وداخلي مذعور من ردة فعلها،إلا يهرب السجين من الجلاد متى سنحت له الفرصة،إلا يتخلى الموجوع عن مسبب أوجاعه،سيتخلى...

نحن نتمسك بكل ما يؤذينا،نلتمس الأعذار حتى لا نتخلى،نحن نخشى إفلات الأشياء،نخشى الفراغ الذي ستتركه فينا،نحن لا نعتاد الأشياء،نحن ندمنها،ستفنى أعمارنا،ونحن نتمسك بأشياء ليست لنا،سيدركنا التعب،فالأشياء المقدرة لنا لن تذهب لغيرنا حتى لو افلتناها، كذلك هو حال كلبك أيتها الجدة، ربما وجد في التخلي نجاة وان كانت فكرة الانسحاب في حد ذاتها مؤلمة، نتمسك، ونعفو،وننسج أعذارا من الوهم، حتى تستنزف قلوبنا فنتخلى،ماذا يحدث بعد هذا؟

سنتداوى ذاتيا، سنعتاد الألم، ثم سنشفى، لا باس ببعض الندوب، لنعتبر،سندرك بعد حين أن التمسك،سيدمر ما تبقى من قلوبنا بأشياء لن تكون لنا،علينا التحلي بشجاعة التخلي،فالتخلي أحيانا نجاة...

*****

" إذا انتظرنا اللحظة التي يكون فيها كل شيء جاهزا تماما،فلن نبدأ أبدا "

ايفان تورغينيف

حذاء سندريلا

من منا لا يعرف سندريلا،من لا يعرف كيف عانت سندريلا من قهر زوجة أبيها المتسلطة،وحقد أخواتها، أمضت حياتها كخادمة إلى أن أتت ساعة الفرج، حولت الساحرة سندريلا إلى أميرة،ذهبت إلى الحفلة فسقط حذائها،ليأخذه الأمير باحثا عنها في كل أرجاء المملكة حتى وجدها وتزوجا،وتخلصت سندريلا من الظلم التي عاشته،وعاشوا سعداء كما يحكى...

ماذا لو التفتت سندريلا تلك الليلة للوراء،والتقطت حذاءها أكانت ستغدو أميرة،لكل شيء ضريبة،وضريبة الالتفات التأخر،ككل الملتفتون لم يصلوا،ليس هناك ما يستحق الرجوع لو استحق لمضى معنا خطوة بخطوة،نحن نستحق أن يلتفت لنا كل شيء،نستحق فرص جديدة،وأشياء جميلة وأشخاصا طيبين، لا فائدة من النظر للخلف ونبش بقايا الماضي،حتى وان استصعبنا المضي قدما،وبهتت حولنا لألوان وغطى السواد مسارنا،لابد أن نمضي،حتى لو كنا نعرف أننا بعد أن نقطع أشواطا من التعب سنجلس فقط للمشاهدة لابد أن نصل،سنمضي لنكسر عجزنا،لان من يريد فقط يستطيع.

لست سندريلا عزيزتي، لن يكون هناك أمير ليغير أقدارك،أنت من عليك التحلي بالشجاعة لتحقيق أحلامك، لا يوجد أي خيار لك في هذه الحياة،سوى الظفر بكل ما تصبو إليه نفسك،في قاموس الحياة لا يوجد ما هو مستحيل،انجحي وخيبي ظنون كل من استهزئ بطموحك وراهن على فشلك، أنت بنفسك ولنفسك،لن يأتي أحدا حاملا أحلامك على أطباق من ذهب،فمن صار على الدرب،تعثر،وسقط،تألم ونهض،خذل ووقف،كابد اليأس ومشى بعزيمة حتى وصل.

دائما حاولي مجددا،فهذه المرة غير المرة الأولى، ستبدئين من تجربة.

****

" حضن واحد صادق يعطي مشاعر أقوى من ألف كلمة ذات معنى"

ان هود

كصبار حزين

ظل الصبار حزين لأنه لو بكى مائة عام من لن يحضنه احد،كذلك نحن، فأحيانا تمر على المرء مواقف لا احد بمقدوره أن يواسيك، أنها بمثابة جرعة كيماوي لجسم مريض بالسرطان، روحه ونفسه تحترق، ولا يقوى احد على استئصال هذا الألم،الجميع سيسألك بدافع الفضول لا أكثر،سيكون الكل لك ناصحا سيرددون باستمرار"محنة وتفوت" لا احد يعرف آن هناك مواقف يود فيها الإنسان لو يتقيا قلبه،من شدة الوجع،تتعرى كل الكلمات أمامها،فتصبح عاجزة عن التخفيف، الكثير يهرب منها إلى الألم الجسدي ليتناسى الم روحه،فلا الصراخ يجدي نفعا،ولا البكاء سيخفف الوجع ،نكتفي بالصمت فقط،لأننا عاجزون عن كل شيء،نصبح كتلة من الألم، تهدا ملامحنا وداخلنا يشتعل، كقنبلة مؤقتة يمكن أن تنفجر في أية لحظة،لا والله لا يجدي الكلام نفعا،ليت الناس يفهمون أن هكذا مواقف نواسيها بالعناق،هو فقط من بإمكانه جبر كسور الروح،العناق يغنينا عن ألف حديث،العناق هو اللجوء لجسد شخص أخر حين يصبح جسدك عاجزا عن تحمل المشاعر التي بداخله.

في العناق ينتقل الدفء،الحب، الامتنان، والرحمة...

إذا مـــا صـــادفكم يومـــا شـــخص حـــزين،لا تتـــرددوا فـــي احتضانه،كونوا على يقين بأنه انجح طريقة للمواساة،فهو الوحيد الذي يبث فيك مشاعرا لا يمكن للكلمات أن ترويها.

" فقط في سن العشرين أدركت الحقيقة القاسية، وهي أن علي أن أحيا بلا أحلام،سرقوا منا الماضي والحاضر و المستقبل ويكرهون أن يتركونا نعيش "

احمد خالد توفيق

الزنزانة رقم 20

كل منا يولد في مكان مختلف، على سطح هذا الكوكب، منا من حالفه الحظ ووجد نفسه في المكان المناسب، ومنا من وجد نفسه في مكان بائس، ما من تسلية عظيمة فيه سوى النوم،يبدأ منذ طفولته باستهلاك كل مدخرات الضحك، واللعب، يتناول أطباقا غير محدودة من الآمل بشراهة،يظلل يشيد في جسور الأحلام،يبني ويهدم حتى يصل إلى السحاب، ثم يصبح في العشرين من عمره خالي الوفاض وقد استهلك كل مدخراته، قد تناول أطباق الأمل حتى إصابته التخمة،في العشرين سيشعر بالجوع اتجاه الحياة، لكن لا شهية له فمعدته مليئة بالآمال الخائبة، سيصبح مصابا بدوار دائم،وغثيان مستمر،ستستنزف طاقتك في عمر العشرين، ستصبح أكثر عرضة للشيخوخة، ستشيب أحلامك، ستبلغ العشرين حاملا قلب عجوز ستيني، ستظل تلعن المكان الذي ولدت فيه،ستلعن كل من وقف في طريق أحلامك،في عمر العشرين ستخالط الحياة أكثر ستدرك جيدا أن لها أكثر من وجه، ستعلمك بان الشدائد خريف العلاقات يتساقط منها المزيفون كأوراق الشجر.

ستبارك كل لحظة وحدة تجلس فيها،ستصبح العزلة أنيقة، ستنضج وستقل دائرة معارفك، ستصبح عدوا للاماكن المزدحمة، للاجتماعات المليئة بالنفاق،للحب المعلب، للأشخاص المستهلكين، ستستغني عن التواصل البشري،ستعوض غيابهم بكتاب، أو الموسيقى،أو النوم،ستفلت منك الأشياء بطريقة مريعة ولن تقوى على منعها،ستعرف جيدا أن كل من حولك حيطان مائلة،ستسند نفسك بنفسك،ستجعل منك الأيام شخصا لا يلين، سيصبح كل همك البحث عن شيء تسد به فراغك،ستتألم حين تعرف أن الأحلام ليست متاحة للجميع،ستجد نفسك في المكان الخطأ ستفقد شغفك وهذا أسوء ما قد يصيبك،ستركض مسرعا لتصل إلى تلك الشعلة في أخر النفق،ستجد أن أحلامك تحترق،لن يفارقك شعور انك في المكان الخطأ.

في العشرينات من عمرك لن تستطيع الركض إلى أمك باكيا لتخبرها عما يؤلمك، أنت لم تعد الطفل الذي يسكتون بكاءه بقطعة حلوى،لن تجد نفس الأيادي التي كانت تمد يد العون لك، ستدرك حقيقة كل الأشياء،فالسحاب لا يلحق بك وأنت تمشي، والذئب لم يأكل ليلى فأنت سمعت القصة منها فقط.

ستتغير نظرتك كليا للحياة،ستصطدم بواقع مرير.في بلدي مثلا ستكمل دراستك في هذا العمر، ستصبح رهينة لشبح البطالة،في بلدي حيث الشباب يهاجرون في قوارب

الموت فقط ليحظوا بحياة اقل بؤس، في بلدي حيث يواجه الشباب في عمر الزهور مشاكل تفوق أعمارهم،حيث يعالجون همومهم بالتعاطي والانحراف،حيث يصبح الفقر ذريعة للسرقة والنهب،وما أكثر الذين تحطمت أحلامهم في بلدي،هنا أن لم تمت ستعيش ميتا

وستصبح أحلامك الوردية،لا تتعدى كونها أوهام، لتصبح كل أحلامك الحصول على رغيف خبز.

المشهد الأخير

ما سردته لك يا ابنتي من حكايات،ليس سوى نقطة من بحر،فالحياة مسرحية، مليئة بالتجارب،حزينة وحصدنا بعدها خيبات، لتتحول إلى دروس،وبعضها يوضع على رفوف النسيان...

لقد غفوت يا جميلتي، على شفا تلك الشرفة

على شفى هذه الشرفة أيتها الجدة قد سافرت معك إلى قصص أشخاص، قد راقت لي فكل واحدة تحمل بين ثناياها عبرا تسقيها الآلام والآمال.

****

ليس كل ما يكتبه المرء يعيشه، فانا لست سوى كائن حبري لا يعيش على ارض الواقع أنا أعيش داخل رواية لشخص ما...

زرقاء الروح

الفهرس

المشهد الأول 11

صديقـــاتي 18

لحظة وداع 29

مجرد فوضى 33

أحلام مجهضة 35

كبـــرياء 38

التخلي أحيانا نجاة..... 41

حذاء سندريلا..... 44

كصبار حزين.....47

الزنزانة رقم 20..... 50

المشهد الأخير..... 53